مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠١٧ المجلد ٧ / العدد ٤

مَوْضُوعِيّة المَنْظُومَة الخِطَابِيّة عندَ الإمام الحَسَن (عليه السلام)
مقاربةٌ تداوليةٌ

أ.م.د. رحيم كريم عليّ الشَّرِيفيّ
جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنيّة

البريد الإلكتروني Email: Qur.Raheem Kareem @uobabylon.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الامام الحسن (عليه السلام) ، الخطاب ، الموضوعية ، الحِجاج .

كيفية اقتباس البحث
الشريفي ،رحيم كريم علي ، مَوْضُوعِيّة المَنْظُومَة الخِطَابِيّة عندَ الإمام الحَسَن (عليه السلام)، مقاربةٌ تداوليةٌ ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠١٧، المجلد:٧ ،العدد: ٤.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

An Objective System Rhetoric When Imam Hassan Deliberative Approach

Rahim Karim Ali Sharifi
College of Quranic Studies / Babylon University

Keywords: Keywords: Imam Hassan , speech, objectivity.

How To Cite This Article
Ali Sharifi, Rahim Karim Ali, - An Objective System Rhetoric When Imam Hassan Deliberative Approach, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2017,Volume:7, Issue: 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research represents a milestone intellectual search the Imam Hassan (PBUH), and partial molecules construction rhetorical has (PBUH), and a glass of a package of ideas, and Alqubsat, and fragments of the blocks heritage of Imam Hassan (PBUH), and the search is over to be the most important mechanisms that adopted by Imam Hassan (PBUH) in his system rhetoric of martyrdom texts as evidence, saying the objectivity of the telecom system release, as well as the principle of pilgrims and include it, and it appeared that the most important foundations or assets of the system rhetoric of Imam Hassan (PBUH) etiquette Salutation, rationality, realism and honesty

المُلخص :

يمثل هذا البحث معلماً من معالم البحث الفكري لدى الإمام الحسن (عليه السلام)، وجزئية من جزئيات البناء الخطابي لديه ، وقدح بحزمة من الأفكار، و القبسات، والشذرات من لبنات تراث

الإمام الحسن (عليه السلام)، وانتهى البحث الى أنّ أهم الآليات التي اعتمد عليها الإمام الحسن (عليه السلام) في منظومته الخطابيّة الاستشهاد بالنصوص بوصفها دليلاً معتبراً في بيان موضوعية تلكم المنظومة، فضلاً عن ذلك مبدأ الحِجاج وتدرّجه، وظهر أنَّ أهم الأسس أو الأصول للمنظومة الخطابية للإمام الحسن (عليه السلام) آداب المخاطبة، والعقلانية، والواقعية والصدق .

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهِ الذي خَصَّ محمداً بالرسالة والنبوّة، وأنار على يديه دروب البريّة، وقادهم إلى المحجّة البيضاء، وصلّى الله على المخاطَب بالقرآن صاحب المنظومة السنّية العليّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى آله موضوع العصمة والطهارة والرشاد، وعلى صحبه الكرام المخلَصين.

وبعدُ، فإنَّ البحث سيتناول جَنْبَة عظيمة القدر، جليلة الوقع من جنبات الإمام الناصح أبي محمد (الحسن بن عليّ) (عليهما السلام) العظيمات التي تتصل بتراثه الفكري عامة – والتي نخالُ أنها تمثّل العتبة الأولى من عتبات تراثه – ألاَّ وهي (موضوعيّة المنظومة الخطابِيّة) عنده (عليه السلام).

إنَّ المتدبّر في تراث الإمام الحسن (عليه السلام) بمرقاب التأمل ومنظار التدبّر يجدُ المنهجيّة الموضوعيّة، والعقلانيّة الرشيدة، والحجج المنطقيّة المنظّمة وغيرها في منجزه الخطابيّ.

وهذا البحث يمثل أيضاً معلماً من معالم البحث الفكري لدى الإمام الحسن (عليه السلام)، وجزئية من جزئيات البناء الخطابي لديه (عليه السلام)، هذا البناء الذي يُعدّ مكنزاً كشفيّاً يضطمُّ على حقائق عظيمة المضمون، وقوادح عالية البيان[١].

وسيقدحُ البحث بحزمة من الأفكار، و القبسات، والشذرات من لبنات تراث الإمام الحسن (عليه السلام)، يأملُ كاتبُ هذه السطور من الباحثين الأكارم أنْ يقتنصوها، ويفيدوا منها علَّهم يوسّعون هذه الدوائر، ويشظّون البؤر – التي نحسبُ أنّها لم تتوسّع، ولم تتشظَّ بَعْدُ –.

عندما نَسْبرُ غور الموضوعيّة في منظومة الخطاب الحسنيّ، نجعلُها في قبال الذاتية والمعياريّة اللتين تلتزمان بالفرديّة، والنظرة إلى قيمة الأشياء من دون بيانِ قيمتها، وقد فرق المفكر محمد عابد الجابريّ بين هاتين الثيمتين، فالذاتيّة والمعياريّة نظرة اختزالية، أما الموضوعيّة، فهي نظرة تحليليّة تركيبيّة تحلّل الأشياء إلى عناصرها الأساسيّة ؛ من أجل إعادة بنائها بشكل يُبْرِزُ ما هو جوهري منها[٢].

وعلى وَفْق هذا الفَهْم فالبحث لا يتحدث عن الموضوعيّة بوصفها مصطلحاً بلاغِيّاً يتساوق ويتماشى مع مصطلح الفنّيّة، لكونها من لوازم النصوص والأجناس الأدبية كالخطبة، والرسائل، والأدعية، والمناظرات، والكلمات الحكميّة القصار وغيرها.

واقتضت هيكليّة البحث – بحسب المادة المجموعة – أنْ يكون في ثلاثة مطالب، هي :

- **الأول :** أثر البيئة الاجتماعية في المنجز الخطابيّ عند الإمام الحسن (عليه السلام).
- **والثاني :** آليات المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام).
- **والثالث :** أسس موضوعيّة المنظومة الخطابِيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام).

وهذا أوان الشروع في :

المطلب الأول : أثر البيئة الاجتماعية في المنجز الخطابي عند الإمام الحسن (عليه السلام).

لا يخفى على البصير أنَّ البيئة الاجتماعيّة لها أثر في كيان الإنسان وتصرّفاته، وأقواله، وأنّ المنظومة الفكرية المتمثلة بأفعاله وأقواله لتتناسب مع إرهاصات البيئة وتمثّلاتها المتنوعة، وهو أمر عقلي ومنطقي ترنو إليه النفوس الواعية المطمئنة.

إنَّ التأمل العميق في المنظومة الفكريّة للإنسان يَرَى أنها انعكاس أفكار، وتأثر النفس مع أحداث الحياة، يقول إحسان عباس : «وكلّما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة فيها، أو متأثرة بها، فإنَّ السيرة في هذا الوضع تحقّق غاية تاريخيّة، وكلّما كانت السيرة تجتزئ بالفرد وتفصله عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الواحدة الكبرى، وتنظر إلى كلّ ما يصدر عنه نظرة مستقلة فإنّ صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة»[٣].

ولم يكن الإمام الحسن (عليه السلام) بدعاً من غيره، فقد اتّجه في خطابه إلى الحياة الإنسانية، وما تزخر بها من شعور، وآلام، فكان (عليه السلام) واعياً وباصراً بالبيئة التي تحيط به بتمثّلاتها كلّها وفاقاً لنظرة موضوعيّة تعتمد على الاستدلال والبرهان لا على الحدس والوجدان، واللّدُنية والاكتساب والجهد وهي من لوازم الموضوعيّة بخلاف الفطرة والارتجال اللتين هما من لوازم الذاتيّة .

إنَّ البيانيّ الذي يصطدم ببيئته الاجتماعِيّة، ويتفاعل معها يُعدّ أنموذجاً متجدّداً وفعّالاً للكشف عن أسرار الفن القادر على التخطّي، والتجاوز.

ونقطع جازمين بأنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) منذ الوهلة الأولى قد كشف النقاب عن حقيقة البيئة الاجتماعية التي تحيط به، فهي بيئة متلجلجة لا تستقر على أرضيةٍ إيمانية صلبة، ولا تستند إلى جدار حصين من الفَهْم الإسلامي الصحيح ؛ لذلك عَمِل (عليه السلام) لحظة تسنمه الخلافة

إلى التعريف بنفسه ؛ لكونه قد جمع الكمالات الإنسانية كلّها، واحتشدت فيه الفضائل التي نالها من كتاب الله (عزّ وجلّ)، ومن جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن أبيه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ؛ لأنه يعلم فساد المجتمع وانحطاطه، فعملية الإصلاح الشامل لا بُدَّ لها من مصلح عظيم معروف نسبُهُ، محمودة سيرتُهُ، محبوبٌ لدى الناس، قال (عليه السلام) من خطبة بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) : « **أيُّها الناسُ من عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل فينا، ويصعدُ من عندنا**»[٤] ، **فالإمام** (عليه السلام) أراد أن يعيد المجتمع الى وعيه في ضوء تعريفهم بنفسه بأنَّه من شجرة النبوة ، ومعدن الرسالة ، بعد أن فقدت الأمة اتجاه البوصلة الصحيح .

درس الإمام الحسن (عليه السلام) المجتمع دراسة وافية، مبيّناً أنه مجتمع مريض شكّاك لا يفرّق بين الخير والشرّ، وبين المفسد والمصلح، وبين الإمام الحقيقي والإمام المزيّف، وبين الجبهة الإسلامية الرساليّة الصحيحة، وبين الجبهة المحطِّمة والمدمّرة للإسلام، ومن هنا جاء خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) ؛ ليبيّن المسار الصحيح، وكونه الإمام الحقّ – إمام الهداية والرشاد – مثنياً على المرجعية الدينية الأصيلة الثابتة – مرجعية جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرجعية أبيه عليّ (عليه السلام) ؛ تأمل في خطابه (عليه السلام) – وهو يخاطب أصحابه – « وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنَّه لكم عدوٌ مبين فتكونوا كأوليائه »[٥] ، ولايخفى أنَّ المراد بهتاف الشيطان الجبهة المناوئة المحطِمة للإسلام والإيمان ، وقد جاء الخطاب مكشوفًا في قوله (عليه السلام)« فليتعجب المتعجب من توثبك يامعاوية ، على أمرٍ لست من أهله لابفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الاسلام محمود ، وأنت ابنُ خربٍ من الأخراب ، وابن أعدى قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،ولكتابه » [٦]

ويبدو في ضوء استقراء المنجز البياني، والتراث العلمي للإمام الحسن (عليه السلام) من جهة، وطبيعة المجتمع الإسلامي المعيش فيه الإمام الحسن (عليه السلام)، أنَّ المجتمع قد أصيب بجملة من الأمراض الاجتماعية، منها :-

أ- ضعف البناء الاجتماعي.
ب- البعد عن القيم الروحيّة.
ج- غياب العقل.
د- موت الإرادة.
هـ- حبّ الدنيا وشهواتها وملذاتها.
و- الخوف من المستقبل.
ز- قلب الحقائق.

وهذه الأمراض مردّها طبيعة المجتمع الكوفي – هذا المجتمع المختلف تركيباً، والمتباين مذهباً، والمختلف قومية، والمتنوع قبلياً، والمتفاوت طبقة[٧]–، وفي ظل هذا التبايُن الذي تعيشه الكوفة على المستويات كافة، فإنَّ الأوضاع فيها كانت مرهقة ومتعبة، وكانت متفرقة ومتشتتة، فأخذ الإمام الحسن (عليه السلام) يعمل بجدّ وإخلاص وعناية من أجل إصلاح دولته، وإحكامها، وصيانتها.

أراد الإمام الحسن (عليه السلام)أنْ يقوي الوحدة، ويوثقها في نفوس أفراد المجتمع لاسيما بعد أن خيّم الشك على الفرد المسلم آنذاك فأراد معالجة أسبابه، وإنعاشه من جديد، فالظروف التي يمر بها المسلمون في العراق كانت ظروفاً نفسيّة، والمجتمع محطّمٌ من جهة التعايش والتسامح، زد على ذلك وجود فراغات فكرية ونفسية واضحة وكبيرة، فكانت دعوته ملحة على الوحدة والتآلف والمحبة، وأراد الإمام أيضًا أنْ يُبْعد الأمة عن شبح موت الإرادة، وموت القيم الإنسانية العليا[٨].

وَعَى الإمام الحسن (عليه السلام) الأحداث المحيطة بالمجتمع من جهة، والمحيطة به من جهة أخرى، فكان قارئاً واعياً للمشهد السياسي والاجتماعي ومفكراً بارعاً في الإحاطة بنزعات النفوس وتخالجاتها، فالقراءة السايكلوجية الحاذقة للمجتمع عامة، ولخصومه ومناوئيه خاصة جعلته يصوّب سهام خطابه بصورة دقيقة في أغراض فَهْم المجتمع والمناوئين من دون أنْ يخطئها، وهنا يكمن سرُّ عظمة الخطاب الحسنيّ البيانيّ، وتجاوُزه الحدود الظاهرية، وانسيابه وجريانه إلى حجاج القلوب، فلا مَعْدى من أن يتلَوّن الخطاب الحسني بمرقاب هذه البيئة، فنجده خطاباً معقولاً يدعو إلى التوحيد، والالتزام بمبادئ الإسلام الصحيح، وعدم الانحراف والعودة إلى الفهم الصحيح للإسلام، والتمسك بالقيم والتعاليم الإسلامية النبيلة الصحيحة، وفي قبال ذلك نجد خطاباً حسنيّاً آخر كشف فيه (عليه السلام) انحراف المناوئين، وشططهم وابتعادهم عن خط الإسلام الصحيح، وإضلالهم الناس، إذ استطاع (عليه السلام) أن يصور مناوئيه الذين عاصرهم على أنَّهم شخصيات متزاحمة على الدنيا، وغير ملتزمة بحدود الشرع المقدّس ؛ لذلك جاء الخطاب الحسنيّ قائماً على النظرة التحليلية العميقة لمجتمعه عامة ولأعدائه وأصحابه خاصة، جاء في أمالي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، قال بعد ذكره سلسلة السند : «سمعت أبا محمد بن عليّ (عليهما السلام) يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر : **نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمته، (...) وأحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنّه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه (...) فتلقون إلى الرماح وزراً، وإلى السيوف حرزاً، وللعمد حَطْماً، وللسهام غَرَضاً**»[٩].

رأى الإمام الحسن (عليه السلام) أصحابه كأعجاز نخلٍ خاوية وكخُشُب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم ، أصحابَ عقيدة متزلزلة لم يلجؤُوا إلى ركن وثيق.

تأمّل الخطاب الحسني يوم خروج الإمام الحسن (عليه السلام) من الكوفة إلى مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد إبرام الهُدْنة مع معاوية : «أنتم شيعتنا، وأهل مودتنا، فلو كُنْتُ بالحزم في أمر الدنيا أعمل لسلطانها، وأنْصب ما كان معاوية بأبأس منّي بأساً ولا أشد شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكن أرى غير ما رأيتم وما أردْت فيما فعلت إلاّ حقن الدماء فارْضوا بقضاء الله، وسلّموا الأمر، والزموا بيوتكم وأمسكوا أيديكم حتى يستريحَ برّ، ويستراح من فاجرٍ »[١٠].

واسْمَع إلى خطابه الصادق بعد هدنته وسَلْمه مع معاوية مبيّناً أسبابه عَفْو الخاطر بلا تكلّف ولا تصنّع كاشفاً النقاب عن تقهقر الإرادات، وضعف النوايا، وتهافت القيم، متحمّلاً من قومه وأصحابه ما لم تتحمله الجبال الراسيات، فلم يستوعب هؤلاء الصدمة وعظمة الفتنة، فانبروا كلاًّ على شاكلته، قال (عليه السلام) : «**فقد مات والله جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقتل أبي (عليه السلام)، وصاح الوَسْواس الخنّاس في قلوب الناس، ونعق ناعق الفتنة، وخالفتهم السنة، فيالها من فتنة صمّاء عمياء لا يسمع لداعيها، ولا يجاب مناديها، ولا يخالف، وإليها ظهرت كلمة النفاق، وسيّرت رايات أهل الشقاق، وتكالبت جيوش أهل العراق من الشام، والعراق، هَلِمُّوا – رحمكم الله– إلى الافتتاح، والعلم الجحجاح، والنور الذي لا يُطْفى، والحقّ الذي لا يَخْفَى، أيها الناسُ، تيقّظوا من رَقْدة الغَفْلة، ومن تكاثف الظلمة، فوالذي خَلَق الحبّة، وبرَأ النسمة، وتردّى بالعظمة لَئِن قام إلي منكم عصبة بقلوب صافية، ونيّات صادقة لا يكونُ فيها شوبُ نفاق، ولا نيّة افتراق لأجاهدَنَّ بالسيف قدماً قدماً، ولأُضَيِّقَنَّ من السيوف جوانبها، ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سنابكها، فتكلَّمُوا يرحمكمُ اللهُ**»[١١]. قال طه حسين : «ومهما يكن من ذلك فقد سخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له، ولأبيه، وأخلصوا في بغض معاوية وأهل الشام، ورأوا في هذا الصلح نوعاً من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام عليّ من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان في أيديهم من قوة، فمنهم من كان يقول للحسن : يا مذلّ المؤمنين، ومنهم من كان يقول له : يا مذلّ العرب، ومنهم من كان يقول له : يا مسوّد وجوه العرب، ولكنّ الإمام الحسن لم يحفل بشيء من ذلك ، وإنّما رَضِي عن خطبته كلّ الرضا فرأى فيها حقناً للدماء، ووضعاً لأوزار الحرب، وجمعاً لكلمة الأمّة، وتمكيناً للمسلمين من أنْ يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين، ومتفقين لا مفترقين»[١٢]، وقد جابه الإمام الحسن (عليه السلام) كلاماً من المندّدين بالهدنة والسَّلم كان أشد عليه من وقع الحسام المهنّد، فقد رأى منهم غلظة في القول وقسوة في الحديث، وجفاء أي جفاء[١٣].

إنَّ جسامة الأحداث، وفداحة الخطوب التي واجهها الإمام الحسن (عليه السلام) من جهة، والبيئة الاجتماعية المضطربة للمجتمع غير القائمة على ركن وثيق من جهة أخرى، جعلته (أنْ يقدم لنا مجموعة من النصوص شكّلت ما نسميه بالتراث الأدبي والفكري لديه (عليه السلام) في مجالات معرفية متنوعة، فجاء خطابه ، ومتنوعاً ، نلمح الخطاب الإنساني، والتربوي، والأخلاقي، والسياسي، والقيمي، والعَقَدي وغيرها، فضلاً عن ذلك تعدّد موضوعات أدبه ؛ إذ فيه (الخطب، والرسائل، والأدعية، والمناظرات، والكلمات الحِكَمِيّة القصار، والمرويات وغيرها)، زد على ذلك نرقب فنيّة الخطاب لديه وجماليته في ضوء تشكّل الأنساق الخطابيّة، وتعدّد أنماطها.

المطلب الثاني : آليات المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام).

قبل الشروع في الكشف عن آليات المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام)، نقول : إن الحاجة تقتضي اليوم دراسة تراث الإمام الحسن (عليه السلام) في ضوء الأبحاث والدراسات التحليليّة التي تعتمد على المناهج التحليلية واللغوية والتاريخية، وأنَّ عملية جمع تراثه لا تكفي لمعرفة موضوعية المنظومة الخطابية عنده (عليه السلام) في محتواه ما لم يتمّ تحليل نصوص هذا التراث ومظاهره، وصياغة رؤاه بطرائق المناهج الحديثة.

إن هذه الدراسات والأبحاث التحليلية تأخذ بفكره (عليه السلام) إلى مواقع متقدمة لسبر أغواره، والتنقيب في كنوزه، من أجل أنْ يأخذ موقعه المتألق في ثقافتنا الجديدة التي بنا حاجة إليها لضبط حركتنا المعرفية والعملية على هداها، ونسترشد بإبداعات هذا التراث الحسني وأدبياته في توجيه حياتنا المعاصرة التي تشهد انقطاعاً جزئياً عن هذا التراث(١٤).

وإذا تفحصنا تراث الإمام الحسن (عليه السلام) نراه موزعاً بين نصوصٍ شفاهية تتمثّل في خطبه التي ألقاها، أو كتابيّة تتمثّل في رسائله التي دارت بينه (عليه السلام)، وبين معاوية، وقد تكون نصوصه وصايا أو حِكَماً جاد بها لسانه الشريف(١٥).

إن المهمة التي كان يجبُ أنْ يقوم بها الإمام الحسن (عليه السلام) توصف بالصعبة والمعقّدة، والبعيدة المدى، وهي ملأى بالمخاطر والعقبات، فكان البيان الخطابيّ حاضراً، وآخذاً موقعه في إزالة تلكم العقبات، وتوجيه مسيرة الأمّة نحو الطريق الآمنة، والعدل المخطط له.

الإمام الحسن (عليه السلام) ترك لنا نصوصاً تتحدّى الزمن، محشّداً الآليات والطاقات التعبيريّة، والشحنات الضاغطة التي تفجر في الموتى الحياةَ، وفي الطين الروحَ، فكلّ ما يرجوه أنْ يعود الناس إلى التأمّل في سرّ الخلق، ومعرفة الصحيح من السقيم، وعدم الذوبان في المادية الفانية.

ومن أهم الآليات التي وظّفها الإمام الحسن (عليه السلام) في منظومته الخطابيّة ما يأتي:-

أولاً :- الاستدلال بالقرآن الكريم :

تُعدّ آلية الاستدلال والاستشهاد بالنصوص من الآليات المهمة التي يعتمد عليها البيانيّ ؛ لأنها تمثّل تناصّات مضيئة في النصّ من جهة، ودعائم قويّة للخطاب البيانيّ من جهة أخرى، ولمّا كان الإمام الحسن (عليه السلام) سبط سيّد البيانيّين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وابن خير المتكلمين بعد الله (عزّ وجلّ)، ورسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أفاد من الخطابات القرآنية أيّما فائدة.

امتاز الخطاب القرآني المعجز بمفاهيمه العقلية، وأساليبه البيانيّة التعبيريّة، التي تستولي على نفوس المخاطبين، وتمتلك مشاعرهم بما لها من احتجاجات جمعت بين الدلائل النفسية والشعورية والآيات الآفاقية في توكيد العقائد والشرائع السماويّة ونقض ما عداها في ضوء منظومة استدلالية برهانية متكاملة الأبعاد، فالمتأمل بكتاب الله المجيد تأسره مظاهر الاستدلال الذي يسخر هذا الوجود بأكمله ويوظّفه ويقدّمه للإنسان المخصوص بخطاب القرآن متناسباً مع جِبِلّته؛ سعياً في البناء النفسي والسلوكي، وصناعة الأنموذج المثالي في وعيه لنفسه وإدراكه لما حوله في هذا الوجود سواء أكان منه ، أم ما هو كائن، وما سيكون ولو بعد حين [١٦].

أبان الامام الحسن (عليه السلام) عن مقدرته البيانية التفسيرية في ضوء تفسيره القرآن بالقرآن الذي يراد به : «بيان الآيات القرآنية وإيضاح مضامينها من خلال الاستعانة بالآيات القرآنية الأخرى والاعتماد عليها»[١٧]، قال الأرْبليّ (ت ٦٩٢هـ) : « **روى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (رحمه الله) في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أنَّ رجلاً قال : دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجلٍ يحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والناس حوله، فقلت له : أخبرني عن ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (سورة البروج /من الآية٣) فقال : نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم النحر، فجزته إلى آخر يحدِّث فقلتُ له أخبرني عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ فقال : نعم أما الشاهدُ فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلامٍ كأنَّ وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلتُ : أخبرني عن ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾، فقال : نَعَمْ، أما الشاهدُ، فهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سَمِعْته يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة الاحزاب / الآية٤٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ (سورة هود / الآية١٠٣)، فسألت عن الأول ؟ فقالوا : ابن عباس، وسألتُ عن الثاني ؟ فقالوا : ابن عمر، وسألتُ عن الثالث ؟ فقالوا : الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وكان قول الحسن أحسن**»[١٨].

وقد وَصَفَ الإمام الحسنُ (عليه السلام) كتاب الله (عزّ وجلّ) الأكبر بأنه مصدر الهداية وجمّاع الفضائل والشمائل، وطريق الهدى والرشاد، «**ما بَقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتّخذوه إماماً يدلُّكم على هداكم، وإنَّ أحق الناس من عمل به وإن لم يحفظه، وأبْعدهم من لم يعمل به وإن كان يقرؤهُ**»(١٩).

وقال (عليه السلام) في نصّ آخر يصف القرآن وصفاً جميلاً : « **إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور فليجلّ جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور**»(٢٠)، وفي ضوء النصين يمكن بيان أهم النقاط الجوهرية، وهي :

١- إن القرآن كتاب مقدس مهم في حياة المسلمين، وهو ذخيرتهم الروحية، والعَقَديّة، والأخلاقية والسلوكية.

٢- إنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) أراد من الناس أنْ يتخذوا من القرآن إماماً من أجل هدايتهم وإرشادهم.

٣- دعا الإمام (عليه السلام) إلى العمل بالمحتوى التعليمي، والتربوي والعقدي والعلميّ للخطاب القرآني، والعمل به بوصفه منهجاً ومشروعاً للعمل الصالح، وتوجيهًا مستنيرًا لحركة الحياة.

٤- القرآن مصدر النور، والهداية، والسعادة، وشفاء النفوس والصدور(٢١).

ووصف الإمام الحسن (عليه السلام) القرآن بالكمال، والتفصيل ، وبأنّه لا يأتيه الباطل من أيّ ناحية، و حثّنا على أن نتدبّر معانيه حقيقة من دون ظنٍّ وتأويل ، وهو المعوّل في التفسير، «**نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون (...) والتالي كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيءٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نَتَظَنَّى تأويله، بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فإنَّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله (عزّ وجلّ) ورسوله مقرونة، قال الله (عزّ وجلّ) : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (سورة النساء /٥٩) ، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (سورة النساء/ من الآية ٨٣) »(٢٢).**

أكثر الإمام الحسن (عليه السلام) من الاستدلال الحجاجي في ضوء استشهاده بالآيات القرآنية التي اتّخذها حججاً لدعم النتيجة المطلوبة أو الحصول على الاستنتاج من المقدّمات.

إنَّ الاستدلال بالخطاب القرآني يظهر المرجعية الإيمانية العميقة، والحنين إلى زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو الزمن الحقيقي الصريح الذي ينتظم في حركة من الإيمان والهناء، والاطمئنان.

ومن استدلالات الإمام الحسن (عليه السلام) القرآنية، خطبته التي خطبها لمّا بلغه (عليه السلام) أنّ معاوية قد وصل إلى جسر (منبج) فبعث حجر بن عَدِيّ يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادي : الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يتوثّبون ويجتمعون فقال الامام الحسن (عليه السلام) إذا رضيت جماعة الناس فأعْلِمْني فخرج الامام الحسن (عليه السلام) ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «**أما بعدُ، فإنَّ اللهَ كَتَبَ الجهادَ على خَلْقِه وسمّاه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصْبِروا إنَّ الله مَعَ الصابرين، فلستم أيُّها الناس نائلين ما تحبّون إلاَّ بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أن معاوية بلغه أنّا كُنّا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك لذلك ، فأخرجوا ـرحمكم الله ـ إلى معسكركم بالنُّخيلة**»[٢٣]، ولا يخفى أن الإمام يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ (البقرة / من الآية ٢١٦)، وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال / ٤٦).

ومن الاستدلال القرآني الذي وظّفه الإمام الحسن (عليه السلام) الاستدلال بالإشارة والتلويح، وما يستلزمها من إشارات إلى الحقيقة، وحصول المنظور بحسب الإحاطة بالمقدّمات والنتائج ؛ بمعنى أنَّ القضية (قضية الهدنة والسلم) مع معاوية أصبحت واقعة لا محالة، زِد على ذلك أنَّ ظهور نتائجها وجلاء حقائقها بما لا حاجة إلى برهان أو دليل صريح، وهذا الاستدلال من باب إقرار المعنى وتثبيته، ففي خطبته (عليه السلام) لَمّا قَبِل بهدنة معاوية وسَلْمه، «**أيها الناسُ إنَّ الله هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن هذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وإنَّ الله (عزّ وجلّ) قال لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ (سورة الانبياء / ١١١)**»[٢٤].

ويعلو الاستدلال القرآني الصريح في الخطاب الحسني لما حضرته الوفاة (عليه السلام) ، إذ استدعى أخاه الإمام الحسين (عليه السلام) وانفرد به فقال : «**هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي، أوْصَى أنه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقّ عبادته لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذلّ، وأنَّه خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً، وأنه أولى مَنْ عُبد، وأحقّ من حمد، مَنْ أطاعه رشد ومَنْ عصاه غوى، ومَنْ تاب إليه اهتدى (...) وأنْ تدفني مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّي أحق به، وببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزل على نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في**

كتابه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾، (سورة الاحزاب/ من الاية ٥٣) ،فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرّف فيما ورثناه من بعده»[٢٥]، فنلحظ الاستدلال المبرهن بلحاظ المفاهيم القرآنية، والدلائل الحجاجية الواضحة الصريحة في الخطاب الحسني.

ثانياً :- الحِجاج :

يبدو بلحاظ استنطاق التراث الفكري عند الإمام الحسن (عليه السلام) أنّه كان خطاباً مؤثراً يحاكي الواقع، فاضحاً الجهات غير الشرعيّة، خطاباً حيّاً لا ميّتاً، إنّه خطاب المرحلة.

لقد أراد الإمام الحسن (عليه السلام) بمحاججاته ومناظراته وحواراته أنْ يصلح الأمة، وينقذها من الضلالة والحيرة، وقد عُرِف أهلُ البيت بالبيان، وفصل الخطاب، قال الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) (ت ٢٥٤هـ) واصفاً بلاغة أهل البيت : « إنَّ الله (عزّ وجلّ) اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) بالنبوة والبرهان، واصطفانا بالمحبّة والتبيان»[٢٦]، وجاء في الزيارة الجامعة الكبيرة «وفصل الخطاب عندكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم»[٢٧]، ومما جاء أيضاً : «اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه واختاركم لسرّه، (...) وخَصّكم ببرهانه (...) ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة»[٢٨].

وقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الملكة الخطابية، والمقدرة البيانية والحجاجيّة لأخيه الإمام الحسن (عليه السلام) حينما أبّنه معدّداً مناقبه، وسجاياه، وحكمه، جاء فيها « **رَحِمَكَ الله أبا محمدٍ، إن كُنْتَ لتباصر الحقّ مظانَّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشفّ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقدة وتقبض عليها يداً ظاهرة الأطراف نقيّة الأسِرّة (...) ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لِبان الحكمة، فإلى روح وريحان وجنّة نعيم**»[٢٩].

وكان الإمام الحسن (عليه السلام) يتكلّم في مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، ويأتي بكلام يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين، وكان يتصدّى لعملية الرد على التساؤلات والحوار التعليمي، ، وكان (عليه السلام) يملك القدرة الحجاجيّة والحوارية التي تقطع حجج القائلين ممّن يسمعون دروسه، وقد أشرنا من قبل إلى مسألة تفسيره (الشاهد)، و (المشهود).

ويظهر أنَّ الحِجاج كان من المسلمات الخطابية، والآليات البيانية لدى الإمام الحسن (عليه السلام) ؛ لأن الخطاب الأيديولوجي عند مناوئيه _ ولاسيما معاوية بن أبي سفيان _ قد وظّف توظيفاً سياسيًّا انتظم على هيأة خداع، وتضليل، وكذب، وعلى بتر الحقائق وقلبها، فضلاً عن

ذلك الصمت عنها، فكان الإمام الحسن (عليه السلام) راغباً وحريصاً في استعادة الماضي وهو نوع من الاحتجاج على الحاضر رمز الخيانة، والبعد عن الإسلام، ونكث العهود والمواثيق، والكذب الصراح، والتكالب والتزاحم على الدنيا وزخرفها، وإتيان الموبقات، والاحتكار، وتعمية الفضائل والشمائل بضباب كثيف.

إنَّ إعلام التضليل، وقلب الحقائق وتشويهها بلحاظ الخطاب الأيديولوجي المضل جعل كثيراً من الباحثين يتقهقرون ويفقدون الموضوعية والعقلانية في قضية هُدْنة الإمام الحسن (عليه السلام) وسَلْمه مع معاوية، يقول محمد عابد الجابريّ : « ولم تكن بيعة محمد بن الحنفيّة لعبد الملك بن مروان بدون مقابل بل كانت على غرار بيعة الحسن – أخيه – لمعاوية مقرونة بعطايا وامتيازات كثيرة كانت أشبه بصفقة »[٣٠]؛ وهذا الزعم مردود، فالجابري في أبحاثه المتصلة بالعقل العربي قد ألصق كثيراً من التهم بالأئمة وشيعتهم وهم براء منها ، وسبب ذلك جهله بتراث الإمامية من جانب ، وتعمده عدم الرجوع الى تراثهم من جانب آخر ، فضلاً عن ذلك استعانته في كثير من المسائل المتصلة بتراث أهل البيت (عليهم السلام) ، ومواقفهم من تراث غيرهم ، وهو أمر غير مقبول في البحث العلمي ، يقول إدريس هاني : « يبدو في ضوء كلام الجابري أنَّه لم يكن له إلمام بالتاريخ والفكر الشيعيين كما تدل على ذلك مصادره المعتمدة ، فعزو تلك المحاولة التي لم تحقق النجاح المطلوب الى الهاجس السياسي والايديولوجي الساكن بقوة في أعماق مشروع الجابري ، مضافاً الى عدم التخصص ، والبعد عن المصادر ، والسرعة وهي آفة كلّ مشروع أيديولوجي في تركيب الصور والأحكام التاريخية ، ويكفي في هذا الإطار تصدّي الكثير من النقاد إلى تفكيك هذا المشروع وبيان هواجسه ونقائضه »[٣١]

عمد الإمام الحسن (عليه السلام) إلى مبدأ الحجاج، لأن مناوئيه لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم فهم مسلمة الفتح (الطلقاء وأبناء الطلقاء)، فلم يكن الإسلام قد تغلغل في أعماقهم لكي يشحنوه في قلوب أتباعهم حتى وصل الحال بأحدهم إلى أن يسأل مَنْ هو أبو تراب هذا الذي يلعنه إمام الجماعة على المِنبر ؟ فيجاب : أراه لصّاً من لصوص الفتن، وقد أشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة – حقيقة أن الإسلام لَعِق على ألسنة هؤلاء الذين لا يرجون لله وقاراً – ، فقال : **«من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد فإنَّ الله جَلّ جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين، ومِنّة للمؤمنين وكافّة للناس أجمعين ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، (سورة يس /٧٠) فبلّغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتّى توفّاه اللهُ غير مُقَصِّر ولا وان، وبعد أنْ ظهر**

الله به الحقّ ومَحَق به الشّرك وخصَّ به قُريشاً خاصة، فقال له : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾، (الزخرف من الاية ٤٤) فلما تُوُفِّي تنازعت سُلطانه العربُ، فقالت قريش : نحن قبيلته، وأُسرته، وأولياؤُه ولا يحلّ لكم أنْ تنازعونا سلطان محمد وحقَّه، فَرَأت العربُ أنَّ القولَ : ما قالت قريش، وأنَّ الحُجّة في ذلك لهم على مَنْ نازعهم أمر محمدٍ فَأَنْعَمْتُ لَهُم وسلّمت إليهم، ثمّ حاجَجْنا نحن قُرَيْشاً بمثل ما حَاجَجَت به العربُ فلم تُنْصِفْنا قُريش إنصاف العَرَب لها، إنّهم أَخَذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتياج، فلمّا صِرْنا أهل بيت محمد وأوليائه إلى محاجَجَتهم، وطَلَب النَّصَفِ منهم باعَدُونا واسْتَوْلَوْا بالاجتماع على ظلمنا ومُرَاغَمَتنا والعَنَت منهم لنا فالموعد الله، وهو الولي النصير»(٣٢).

لقد استطاع الخطاب الحسني أن يكشف القناع الحقيقي لمعاوية، وأنْ يسقط ماكنته الإعلامية التي أرادت أنْ تُشَكِّك في ثوابت الإسلام، فكانت الكلمات التي يحملها الخطاب الحسني الرَّزين العميق إلى آذان المخاطبين لا تكاد تبلغ آذان القوم حتّى تنفذ منها مسرعة إلى قلوبهم، وتستقر فيها وتملؤها عجباً وإعجاباً، إلاّ أنهم لم يتقبلوها عمليّاً ؛ لعدم التعامل بين الواقع والنصّ عند هؤلاء الذين يضَخِّمُوْن الأهمية الماديّة، بقبال تهوين الشأن العقلي والوعي الثقافي فكانوا يمثّلون التسلّط العسكري بكلّ ما يصاحبه من انقلاب فكري، **قال** (عليه السلام) : «**ولقد كُنّا تعجّبنا لِتَوَثُّب المُتَوثِّبين علينا في حقّنا، وسلطان بيتنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن مُنَازعتهم مخافة على الدين أنْ يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مَغْمَزاً يَثْلِمُوْنه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود وأنت ابنُ حزبٍ من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكتابه فَسَتُرَدُّ وتعلمُ لِمَنْ عُقْبَى الدار**»(٣٣).

إنَّ الاحتجاجات والمناظرات والأجوبة التي كانت تصدر عن الإمام الحسن (عليه السلام) مع بعض مناوئيه، وخصومه، قد وظفها الإمام (عليه السلام) بحجّته البالغة وبرهانه الساطع وسرعة بديهته للوصول الى الغاية المرادة بعيداً عن التبجّح والمكابرة، وكان خطابه (عليه السلام) يتدفّق تدفّق السيل الهادر، يهتك أستار الغلّ والخديعة والضّلال المتمثّلة بسياسة معاوية وزمرته، قال (عليه السلام) رادّاً على معاوية بكلمات مهذّبة مؤدّبة بعد أنْ نال معاوية من أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**أيُّها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر وأمّي فاطمة وأمُّك هند، وجدّي**

رسول الله وجدّك عتبة ابن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدّتك قَتِيلة، فلعن الله أخملنا ذِكْراً وألأمنا حَسَباً وشَرّنا قِدَماً وأقدمنا كُفْراً ونِفَاقاً»(٣٤).

ونلمح في الخطاب الحسني التدرّج في الخطاب، ومحاولة استمالة الخصم، لعَلّه يثوب إلى رُشْده، ويستغفر ربه، « **روي أنَّ الحسن بن عليّ (عليهما السلام) قال لحبيب بن مسلمة بعد صفين : يا حبيب ربّ مسير في غير طاعة الله، فقال له حبيب : أما إلى أبيك فلا، فقال له الحسن (عليه السلام) : بَلَى والله لقد طاوعت معاوية على دنياه وسارعت في هواه فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في دينك، فليتك إذا أسأت الفعل أحسنت القول، فتكون كما قال تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾(سورة التوبة /١٠٢) ، ولكنّك كما قال الله تعَالى : ﴿ كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين/ ١٤)**»(٣٥)، إنَّ أسلوب الإمام الحسن (عليه السلام) كان حكيمًا مع حبيب بقوله : «رُبّ مسير» فلم يواجهه بفظاظة بأنك على باطل، بل أبقى له في نفسه احتمال التضليل من غيره لا من نفسه، لما رُوي أنه كان فاضلاً، ولكن لما رأى الإمام (عليه السلام) جوابه له، وأنه معاند لجوج، بل هو ضالٌّ مُضلّ، ولم يرجُ منه نَفعاً بعد ذلك، قال له (عليه السلام) مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ (سورة المطففين / ١٤) ، وقد تنوّعت المحاجات في الخطاب الحسني، فنجد الحجاج التقويمي، والحجاج التهذيبي، والحجاج التوجيهي، ويمكن الاستدلال على تلوّن هذه المحاجات، بما حُكي من «**أن معاوية أرسل إلى الحسن (عليه السلام) في حاجة له، فلمّا قابله الرسول هابه، وعظّمه من حيث لا يريد وقال : حفظك الله يا ابن رسول الله، وأهلك هؤلاء القوم، فنهره الحسن (عليه السلام) وقال : لا تخن من ائتمنك، وحسبك أنْ تُحبّني لحب رسول الله، وأبي وأمّي، ومن الخيانة أنْ يثق بك قومٌ، وأنت عدوٌّ لهم، وتدعو عليهم**»(٣٦).

ويشتد الحجاج الإرشادي الوعظي الحسني، حينما رأى شامِيٌّ الحسن (عليه السلام) راكباً، فجعل يلعنه، والحسن لا يردّ، فلما فرغ، أقبل الحسن (عليه السلام) وضَحِك، فقال : «**أيُّها الشيخ أظُنُّك غريباً ولعلك شبّهت، فلو استعتبتنا أعْتَبْناك، ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كُنْت عُرياناً كَسَوْناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قَضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً**

كثيراً»[٣٧] فلما سَمِع الرجل كلامه بكى ثم قال : «أشهد أنك خليفةُ الله في أرضه والله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ»[٣٨].

ومن لوازم الحجاج عند الحسن (عليه السلام)، ولواحقه (الإقناع الخطابي)، وهو من المفاهيم التي لها تأثير في السامعين، فهو يمثل حلقة اشتراك بين المتكلم، والسامع، بمعنى عقد عملية تواصل واستقبال بينهما، يقول صابر حباشة : «ولعل الإقناع – وهو مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المنزع التأثيري قد شَكَّلَ نواة البحث الحجاجي، والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطيّة) وفي صيغتها العربية القديمة، والبلاغة الجديدة (نظريات الحجاج والتداولية، ونظرية الأعمال اللغوية)، فالإقناع هدف يتحقّق عبر توسّل أدوات وأساليب بلاغية أي لغوية تركيبيّة بيانيّة»[٣٩].

ويتجلى هذا الملمح الحجاجي المهم (الإقناع) عندما عاتبه عبد الله بن الزبير على هدنته وسلمه مع معاوية، فقال الإمام (عليه السلام) : «**ثُمّ تَزْعَمُ أنّي سلّمْت الأمر، فكيف يكون ذلك وَيْحك كذلك ؟! وأنا ابن أشجع العرب، وقد وَلَدَتْني فاطمة سيدة نساء العالمين، وخِيْرَةُ الإماء، لم أفْعَل ذلك جُبْناً ولا ضَعْفاً، ولكنّه بايعني مِثْلُك، وهو يَطْلُبُني بِتِرَةٍ ويُدَاجِيني المودّة، ولم أثق بنصرته ؛ لأنّكم أهل بيت غَدْرٍ**»[٤٠].

المطلب الثالث :– أسس موضوعيّة المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام)

يبدو أنَّ موضوعية المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام) قد صَوَّر أُسسها، وأنساقها الإمام الهادي (عليه السلام) في الزيارة الجامعة الكبيرة ، حينما أشار إلى أنَّ الأئمة المعصومين هم معدن الفضائل والشمائل والمحاسن، واصفاً كلامهم بالنور، والرأي بالعلم والحزم، قال (عليه السلام): «كلامكم نورٌ، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصدق والرفق، وقولكم حكم وحَتْمٌ، ورأيكم علم وحلم وحزم، إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[٤١].

ونحسب أنَّ أسس موضوعية المنظومة الخطابيّة للإمام الحسن (عليه السلام) قد تجلّت وظهرت مشرقة ؛ لأنه ملك زمام الخطاب وعنانه، بخلاف مناوئيه الذي ملكوا السلطة القهرية والقمعية، فلم يحتاجوا إلى الأدلّة والبراهين من جهة، وإلى آداب المخاطبة والصدق، والعقلانية والواقعية من جهةٍ أخرى، فآلة السيف والقهر والسجن والقتل عَلَت عند هؤلاء على آلة الخطاب والقلم ؛ بخلاف البيانيّ الإمام الحسن (عليه السلام) الذي استند إلى الموروث الإسلامي الأصيل والقرآن الكريم، والسيرة الطاهرة لجدّه وسنته المباركة، وسيرة أبيه المباركة وتراثه الفكري.

إنَّ من أهم أسس موضوعيّة المنظومة الخطابيّة عند الإمام الحسن (عليه السلام) ما يأتي:–

أولاً :- آداب المخاطبة :

مَنْ يتفحّص الخطاب الحسنيّ يجد الموضوعيّة حاضرة وسانحة ، ولاسيما في أسّ، وأصل مهم من أسس موضوعية المنظومة الخطابية عنده (عليه السلام)، وهو أصل (آداب المخاطبة)، في ضوء التحلّي بأعلى درجات اللياقة والآداب والتهذيب، وقد ترك لنا الإمام الحسن (عليه السلام) مبدأً عظيماً من مبادئ تداول الخطاب هو (آداب المخاطبة)، يقول هاشم معروف الحسني : «إنَّ الأئمة كانوا يحرصون بكلّ ما يملكون من قوة وبيان على أن يجعلوا من أصحابهم وشيعتهم، ومن يتصل بهم دعاة حقٍ وخيرٍ يمثلون الإسلام، ويجسدون تعاليمه بأفعالهم قبل أقوالهم، كما كانوا يحرصون على تنزيه الإسلام من التشويه والافتراء»(٤٢).

لقد قدّم لنا الإمام الحسن (عليه السلام) تراثاً فكريّاً يشعّ بآداب المخاطبة، لأنه (عليه السلام) يَعْرِف أنّ قانون التغالب لا يوجد إلاّ بين الأنواع المختلفة، أما ضمن النوع الأول فيسود قانون آخر هو قانون التسالم، فهناك رباط يجمعهم ، هو انتماؤهم إلى نوع واحد هو الإنسانية ؛ ولذا ينبغي أنْ يتسالموا فيما بينهم، ويتكاتفوا على مغالبة سائر الأنواع(٤٣)، ويتجلى هذا الأصل العظيم في أشد المواقف، وأقساها بعدما تعرّض لمحاولة اغتيال، فقد طُعِنَ في فَخِذه، فقال : «**أما بَعْدُ، فَوَاللهِ إنّي لأرجو أنْ أكون قد أصبحتُ – بحمد الله ومَنّه – وأنا أنصحُ خلق الله لخلقه، وما أصبحتُ محتملاً على مسلمٍ ضغينة ولا مُريداً له بِسُوء ولا غائلة، وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تُحبّون في الفرقة، ألا وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نَظَرِكم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تَرُدُّوا عليَّ رَأياً غَفَرَ الله لي ولكم وأرشدني وإيّاكم لِمَا فيه المحبّة والرِّضا**»(٤٤).

وعلى الرغم من أنَّ مناوئيه (عليه السلام) كانوا ماهرين في المكر والدهاء وعظيم المراوغة، شديدي المداورة، يخدعون الآخرين، جابههم الإمام (عليه السلام) بالصبر، فكان عزيزاً أشمّ، جاعلاً نصب عينيه قوله (عليه السلام) : «رأس العقل معاشرة الناس بالحياء»(٤٥)، وتأمل قوله (عليه السلام) محذّراً معاوية من الغدر، ونقض الشروط التي اتفق عليها معه عند الهدنة والسلم : «ولي شروط أشْتَرِطُها لا تُبْهِظَنَّك إن وفيت بها بعهد، ولا تخف إنْ غدرت (....) وستندم يا معاوية كما ندم غيرُك ممّن نهض في الباطل أو قعد عن الحقّ حين لم ينفع الندم ، والسلام»(٤٦).

ومن آداب المخاطبة التي نلمسها عند الإمام (عليه السلام) عدم التوسع، والردّ بإيجاز، قال (عليه السلام) رادّاً على رسالة معاوية التي يحذّر فيها الإمام من أن تكون منيته على أيدي رعاع من الناس، وفيها اطمئنان للإمام على أن الخلافة تكون له من بعده، فلم يعتنِ الإمام الحسن (عليه السلام) بتهديد معاوية، فأجابه على رسالته «**أما بعدُ، فَقَد وَصَل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت، وتَرَكت**

جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله وعليّ إثمٌ أن أقولَ فأكْذِبُ، والسلام»[٤٧].

ثانياً :- العقلانية :

حرص الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الدعوة إلى إعمال العقل، والتنشيط العقلي، ونلمح هذا التصور في جملة من الألفاظ التي جاءت في أدب الإمام الحسن (عليه السلام)، منها : التفكر، التفكير، يفكر، العقل العاقل، رأس العقل، معقوله، القلب البصير، الحكمة، التذكير وغيرها من الكلمات الذهبيّة المعبّرة، وقد ربطتها هذه النصوص بالهدف الأكبر للوجود وهو تقوى الله وطاعته وعبادته[٤٨].

ومن هنا انماز خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) بالعقلانية، والفهم الواعي الفعّال ؛ لأنّه (عليه السلام) أحق بالخلافة والإمامة لما عُرف عنه من علمٍ وتقوى، وإرادة، وإدارة وسياسة وغيرها ، فجاء خطاباً عاقلاً، في حين جاء خطاب مناوئيه بارداً ضعيفاً ؛ لأن العقل الإرهابي من جهة الخطاب ضعيف، بسبب غياب العقل، لذلك عُدّ خطاب الحسن (عليه السلام) بعقلانيته ومنطقيته وثيقة سياسيّة في مجتمع توشك فيه قنوات التعبير أنْ تكون مغلقة تماماً أو واحدة النغمة، أشار يوسف مدن: إنَّ بنا حاجة إلى «محاولة علميّة جادة للتحرّك بفكر الإمام الحسن وتراثه الأخلاقي والروحي والثقافي بواسطة (المنهج العقلي) المتداول تاريخياً في عالم المسلمين عبر قرون متتالية إلى منهج تحليلي جديد يفتح أذهان الباحثين على كنوزه العلمية والقيميّة، ويُطْلِع عقولهم على مدخلاته ومعطياته وإبداعاته، وهي مهمة علمية حيويّة تحتاجها الأجيال المعاصرة للاتّصال بتاريخهم الثقافي وإضاءاته العقائدية والأخلاقية والروحية والفكرية»[٤٩].

وقد كثرت النصوص الحسنيّة الحكميّة التي تحضّ الإنسان على إعمال العقل، لكونه يؤدّي وظائف عبادية تُسْعِدُه في الدنيا، وتُنْجيه من عذاب الآخرة، قال (عليه السلام) : «**لا أدب لمَنْ لا عَقْل له، ولا مروّة لِمَنْ لا هِمّة له، ولا حياء لمَنْ لا أدب له، ورأسُ العقلِ معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومَنْ حُرِم من العقل حُرِمَهما جميعاً**»[٥٠]، وقال (عليه السلام) مادحاً العقل: «**والعقل أفضل ما وهب الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتها وسلامته في الآخرة من عذابها، وقد قيل : إنهم وصفوا رجلاً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسن عبادته، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انظروا إلى عقله فإنّما يُجْزَى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم، وحسن الأدب دليل على صحة العقل**»[٥١].

ومن لوازم العقلانية في موضوعيّة الخطاب الحسني المعاناة والمكابدة وإجالة النظر، زِد على ذلك القدرة على الاستنتاج، والنظرة الثاقبة في نتائج الأمور، قال الإمام الحسن (عليه السلام) :

«مَنْ أكثر من مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه، وفتق ما رتق من ذهنه، وسرّه ما وجد من الزيادة في نفسه، وكانت له ولاية لما لا يعلم وإفادة لما تعلّم»(٥٢).

إنَّ العناية بالعقل، وبيان أثره في قدرته على تصريف الأمور، والبصر في مقدّماتها ونتائجها، فضلاً عن ذلك أثره في الجانب العبادي من فهم الإمام الحسن (عليه السلام) كان له انعكاس واضح من خطابه، فجاء خطاباً واعياً فعّالاً لا تجدُ فيه تهافتاً أو انحرافاً، فالنتائج تتساوق مع المقدّمات، والعلل تتماشى مع المعلولات، تأمل في قوله (عليه السلام) بعدما بلغه أنَّ عدداً من أصحابه قد عرض عليهم معاوية قتله (عليه السلام) جزاء حفنة من الدراهم : **«وَيْلكُم واللهِ، إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظنّ أنّي إن وضعت يدي بيده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدِّي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّي أقْدِر أنْ أعبد الله (عز وجل) وحدي، ولكني كأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم، ويستطعمونهم بما جعله الله لهم، فلا يسقون ولا يطعمون فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (سورة الشعراء/ من الاية ٢٢٧ »**(٥٣).

ثالثاً :- الواقعية والصدق :

يُعَدُّ خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) صورة واقعية صادقة معبّرة نابضة بالحياة، وليس أحداثاً تسرد أو أشخاصًا تُذكر، بل كان يتخيّر في كلّ ذلك ما فيه موعظة، وذكرى لقومه في محنتهم الحاضرة مذكّراً إياهم بعظمة الرسول الأعظم والدين الإسلامي وعدالة أبيه وحكمته، وفي قِبال ذلك وصف مناوئيه بأنهم مضيّعون للحقّ، ومُهدِرون الرحمة، وقاطعون الرحم، يخلطون الخير بالشر والمعروف بالمنكر، قال (عليه السلام) في خطبةٍ له لما تمّ الصلحُ، وانبرم الأمر مع معاوية مفتخراً بالانتساب إلى جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن الهداية والصلاح والرشاد ببركة وجوده (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته السمحة : **«أيها الناس، إنَّ أكيس الكيس التقي، وأحْمق الحمق الفجور، وإنَّكم لو طلبتم ما بين جابلق، وجَابَرْس رجلاً جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما وجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وقد عَلِمْتُم أن الله هو هداكم بجدّي محمد فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلّة وكثّركم به بعد القلة، إنَّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه فنظرت لصلاح الأمّة، وقطع الفتنة»**(٥٤)، وتأمل خطابه الواقعي المملوء صدقاً وحقّاً حينما دعا معاوية إلى الخضوع، ولزوم الطاعة، والدخول من الجماعة، فأمر خلافة المسلمين ليس من أهله لا بفضل من دين ولا سابقة في الإسلام، قال (عليه السلام) : **«فليتعجب المتعجّبُ من توثّبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله لا**

بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكتابه والله حسيبك (...) فدعِ التمادي في الباطل وادخل فيما دَخَل فيه الناس من بيعتي فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر مِنك عند الله وعند كلّ أواب حفيظ، ومَنْ له قَلْبٌ منيب، واتّقِ اللهَ ودَع البغي واحقن دماء المسلمين»[٥٥].

كانت الواقعية ظاهرة واضحة في منظومته (عليه السلام) الخطابيّة في ضوء شحذ الهمم، والتمسك بالقيم والتعاليم الإسلامية، والتذكير بالآخرة، والترغيب في الثواب والجنّة، والتحذير من الركون إلى الباطل فمآله الهبوط والتهافت والسقوط في هاوية الشيطان والرذيلة والخذلان.

إنَّ كُلّ مجالات التفكير لديه (عليه السلام) حقيقة واقعية، يمكن للمتلقّي أنْ يتخذ منها موضوعاً للتأمل، والتدبر، وإعمال عقله للوصول إلى حقيقة قائمة، أو حَلّ مشكلة.

إنَّ مبدأ الواقعية والصدق في المنظومة الخطابية للإمام الحسن (عليه السلام) يتجلّى في مطابقة القول للفعل، وتصديق العمل للكلام، وهذا المبدأ هو (مبدأ التصديق)، ويُبنى اعتماد الصدق والإخلاص على عنصرين اثنين ، أحدهما : نقل القول الذي يتعلق بما أسميناه بالجانب التبليغي في المخاطبة، والثاني : تطبيق القول الذي يتعلق بما أطلق عليه بالجانب التهذيبي[٥٦]، لذا كان خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) لدفع ضررٍ ولجلب نفع من جهةٍ، وتوخّي إصابة الفرصة والغرض، فجاء خطابه متسماً بالاقتصاد اللغوي على قدر الحاجة، مع تخيّر اللفظ الذي به يُتَكَلَّم، قال (عليه السلام) في أول النصوص بعد عقد الهُدْنة مع معاوية : «**أيها الناسُ إنَّ الله هدى أوّلكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا وكانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربتُ وتسالمون مَنْ سالَمْت، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سورة الانبياء/الآية ١١١** »[٥٧].

عمل الإمام الحسن (عليه السلام) على هذا المبدأ من أجل الارتقاء بالجانب التهذيبي من المخاطبة، إذ بفضله يخرج هذا التهذيب من مرتبة التأدّب الاجتماعي المفروض إلى مرتبة التخلق المخلص الذي ينشد الكمال في السلوك والتحلّي بمكارم الأخلاق، ويظهر ذلك في كلماته الحكمية القصار (عليه السلام)، قال : «**يا ابن آدم عِف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم اللهُ سبحانه تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب بمثل ما تحبّ أنْ يصاحبوك به تكن عدلاً**»[٥٨]، وقال (عليه السلام) : «**ما تشاور قوم إلاَّ هُدُوا إلى رُشْدهم**»[٥٩]، وقال (عليه السلام) : «**لا تعاجل الذنب بالعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقاً**»[٦٠].

وقد كتب الحسن (عليه السلام) خطبه ورسائله مجاراة للمناسبة فاتّسمت بالصدق، والصدق في أدبه هو جوهر بلاغته، وسرّ دوامه فتأمل إلى جوابه المفعم بالصدق الواقعي، حينما سأله

معاوية : «ظَنَنْتَ أنْ ستكون خليفة وما أنت وذاك ؟ فقال الحسن (عليه السلام) : **إنما الخليفة من سار بكتاب الله، وسنة رسولِ الله، ليس الخليفة مَنْ سار بالجور وعَطّل السنّة، واتّخَذَ الدنيا أباً وأمّاً، مَلَك مُلْكاً مُتِّعَ به قليلاً، ثم تَنْقَطع لَذَّتُه، وتَبْقَى تَبِعَتَهُ**»(٦١).

ويمكن القول : إنَّ رمزية حقن الدماء والدعوة إلى الهُدْنَة والسَّلْم ملاصقة بالإمام الحسن (عليه السلام)ما أشرقت شمس، وأنار قمرٌ. ، – وهي معيار عظيم من معايير الصدق، والالتزام – بخلاف مناوئيه، فستبقى رمزية خيانة العهد، ونكث العهود ملاصقة بمعاوية ما أظلم ليل، وأضاء نهار.

نتائج البحث :-

١- دعوة الباحثين إلى دراسة أدب الإمام الحسن (عليه السلام) دراسة تحليلية ؛ من أجل الوقوف على موضوعية المنظومة الخطابية عنده (عليه السلام) هذه المنظومة التي نحسب أنها لم تنل من العناية ما تستحقّ.

٢- ظهر أنَّ الإحاطة بالبيئة الاجتماعية، وتطويقها لها أثر في موضوعيّة منظومة الإمام الحسن (عليه السلام) الخطابِيّة، فكان خطابه متناغماً مع واقع المجتمع، وملامساً نفوس المخاطبين ومستشرفاً المستقبل.

٣- إن الموضوعية التي عُني البحث بها في تراث الإمام الحسن (عليه السلام) وأدبه هي النظرية التحليلية التركيبية القائمة على الاستدلال والبرهان وهي ضدّ الذاتية المعتمدة على الحدس والوجدان.

٤- إن أهم الآليات التي اعتمد عليها الإمام الحسن في منظومته الخطابيّة الاستشهاد بالنصوص بوصفها دليلاً معتبراً في بيان موضوعية تلكم المنظومة، فضلاً عن ذلك مبدأ الحجاج وتدرّجه.

٥- ظهر أنَّ أهم الأسس أو الأصول للمنظومة الخطابية للإمام الحسن (عليه السلام) آداب المخاطبة، والعقلانية، والواقعية والصدق.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الهوامش

(١) هذا البحث ينتظم ضمن مشروع علمِيّ يعكف الباحث على إتمامه – إنْ شاء الله – والموسوم بـ (فَهْم الخطاب الديني بين الحسن بن عليّ (عليهما السلام) ومناوئيه).

(٢) ينظر : تكوين العقل العربي : محمد عابد الجابريّ : ٣٢.

(٣) فن السيرة : ١١.

(٤) الذرية الطاهرة : الدولابي : ١٠٨.
(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعوديّ : ٣ / ١٠ – ١١ .
(٦) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٦ / ٣٣ – ٣٤ .
(٧) ينظر : موسوعة المصطفى والعترة (الحسن المجتبى) : حسين الشاكري ٥ / ١٧٨ – ١٧٩.
(٨) ينظر : أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية : محمد باقر الصدر : ٢٤١.
(٩) أمالي الشيخ المفيد : المفيد : (المجلس ٢١ الحديث ٤) : ٣٩٨، وينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي : ٣ / ١٠ – ١١.
(١٠) أنساب الأشراف : البلاذري : ٣ / ٢٥٩.
(١١) بحار الأنوار : المجلسي : ١٠ / ٢٢١.
(١٢) الفتنة الكبرى : ٢ / ١٨٥ – ١٨٦.
(١٣) ينظر : حياة الإمام الحسن بن عليّ (عليهما السلام) : باقر شريف القرشي : ٢ / ٢٦٩.
(١٤) ينظر : دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) : يوسف مدن : ١٢.
(١٥) ينظر : الإنسانية المثالية عند الحسن بن عليّ (عليهما السلام) : رحيم الشريفيّ : ١٥١.
(١٦) ينظر : مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم (مظاهر المباني الاستدلالية) (بحث) : محمد محمود عبود زوين : ١٦.
(١٧) إطلالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن (بحث) : فالح الموسويّ : ٣٢٦.
(١٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة : الأربلي : ١ / ٥٠٩ – ٥١٠، وينظر : الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام) : ابن الصباغ المالكي : ١٤٧.
(١٩) كلمة الإمام الحسن (عليه السلام) : الشيرازي : ٢٣، وينظر : الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن وكتبه ورسائله وكلماته القصار : مصطفى الموسوي : ١٤١.
(٢٠) كشف الغمة : ١ / ٥٣٦.
(٢١) ينظر : دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) : ٩٦ – ٩٧، والإنسانية المثالية عند الحسن بن علي (عليهما السلام): ١٨.
(٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر : ٣ / ١٠ – ١١.
(٢٣) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٦ / ٣٨، وينظر : أعيان الشيعة : محسن الأمين ١ / ٥٦٨.
(٢٤) رسائل المقريزي : تقي الدين المقريزي : ٦٢، وينظر : كشف الغمة : ١ / ٥٣٤.
(٢٥) تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي : ٢ / ٢٢٥.
(٢٦) دلائل الإمامة : ابن رستم الطبري : ٣٧٦، وينظر : إثبات الوصية : المسعودي : ٢٠٢.
(٢٧) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : الإحسائي : ٢ / ١٩١، وينظر : مفاتيح الجنان : عباس القمّي : ٦٢٢.
(٢٨) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : ٢ / ١٩٠.
(٢٩) عيون الأخبار : ابن قتيبة : ٢ / ٢٣٨ – ٢٣٩.
(٣٠) العقل السياسي العربي : محمد عابد الجابري : ٢٦٧.

(٣١) الجابري واللامعقول الشيعي (بحث) : إدريس هاني : ١٥٤ – ١٥٥.
(٣٢) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٦ / ٣٣ – ٣٤. (يس / ٧٠) ، (الزخرف / من الآية ٤٤).
(٣٣) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٦ / ٣٤.
(٣٤) مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني : ٤٦.
(٣٥) الاستيعاب من هامش الإصابة : ابن عبد البر : ١ / ٣٢٨.
(٣٦) سيرة الأئمة الاثني عشر : هاشم معروف الحسني : ١ / ٥٤٩.
(٣٧) بحار الأنوار : ١٠ / ١٨٢، وينظر : أعلام الهداية (الإمام الحسن (عليه السلام)) المجتبى : المجمع العلمي لأهل البيت : ٣٦.
(٣٨) بحار الأنوار : ١٠ / ١٨٢.
(٣٩) محاولات في تحليل الخطاب : صابر الحباشة : ١١٧.
(٤٠) المحاسن والمساوئ : البيهقي : ١ / ٥٨ – ٥٩.
(٤١) مفاتيح الجنان : ٦٢٥.
(٤٢) سيرة الأئمة الاثني عشر : ٢ / ٤٦٥.
(٤٣) ينظر : آراء المدينة الفاضلة : الفارابي : ١٧.
(٤٤) الإرشاد : المفيد : ١٨٠، وينظر : مقاتل الطالبيين : ١٨٠.
(٤٥) موسوعة المصطفى والعترة (الحسن المجتبى) : ٥ / ١٢٧.
(٤٦) بحار الأنوار : ١٠ / ٢٠٦.
(٤٧) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٣٧.
(٤٨) ينظر : دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن : ١٥٠.
(٤٩) دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) : ١٣.
(٥٠) كشف الغمّة : ١ / ٥٣٤، وينظر : الفصول المهمة : ١٥١.
(٥١) كلمة الإمام الحسن : ٦٢.
(٥٢) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن : ١٣٤.
(٥٣) بحار الأنوار : ١٠ / ٢٠٦.
(٥٤) كشف الغمة : ١ / ٥٣٤.
(٥٥) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٣٤.
(٥٦) ينظر : اللسان والميزان والتكوثر العقلي : طه عبد الرحمن : ٢٤٩.
(٥٧) الإمامة والسياسة : ابن قتيبة : ١ / ١٣٣.
(٥٨) كشف الغمة : ٢ / ١٩٤ – ١٩٥.
(٥٩) أعيان الشيعة : ١ / ٥٧٧.
(٦٠) المصدر نفسه : ١ / ٥٧٧.
(٦١) بحار الأنوار : ١٠ / ٢٣٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إثبات الوصية للإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) : أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار الأندلس، النجف، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢. آراء المدينة الفاضلة : أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق البيرنادر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٩م.

٣. الإرشاد في حجج الله على العباد : محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (الشيخ المفيد)، ط١،مؤسسةالتاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٤. الاستيعاب : يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ (ت ٤٦٣هـ)، طبعة بيروت، ١٤١٢هـ.

٥. أعلام الهداية (الإمام الحسن (عليه السلام) المجتبى) ؛ المجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولى، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦. آمالي الشيخ المفيد : محمد بن محمد بن نعمان البغدادي الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٧. الإمامة والسياسة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت ٢٧٦هـ) ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.

٨. أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، (د.ط)، القاهرة، ١٩٥٩م.

٩. الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي (عليهما السلام) : رحيم كريم علي الشريفيّ، ط١، دار البرهان، بيروت – لبنان، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

١٠. أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية (محاضرات السيد محمد باقر الصدر) : ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٥هـ.

١١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : الشيخ باقر المجلسي، إحياء الكتب المقدّسة، إيران، ١٤٢٧هـ.

١٢. تاريخ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) دار الزهراء، إيران، ٢٠١٠م.

١٣. تكوين العقل العربي : محمد عابد الجابري، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.

١٤.حياة الإمام الحسن (عليه السلام) دراسة وتحليل : باقر شريف القرشي، تحقيق : مهدي باقر القرشي، ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٥.دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) : يوسف مدن، ط١، دار البرهان، بيروت – لبنان، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
١٦.دلائل الإمامة : أبو جعفر محمد بن رستم الطبري من علماء الرابع الهجري، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٧.الذرية الطاهرة، أبو البشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق السيد محمد جواد الجلالي، ط٨، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٨.رسائل المقريزي : تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، دراسة وتحقيق : رمضان البدري، وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
١٩.الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن وكتبه ورسائله وكلماته القصار، مصطفى الموسويّ، منشورات دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
٢٠.سيرة الأئمة الاثنى عشر : هاشم معروف الحسني، ط٥، مطبعة شريعة، إيران، (د.ت).
٢١.شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : أحمد بن زين الدين الإحسائي (ت ١٤٢١هـ)، ط١، مكتبة العذراء، بيروت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٢٢.شرح نهج البلاغة : أبو حامد عزّ الدين بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
٢٣.العقل السياسي العربي : محمد عابد الجابري، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.
٢٤.عيون الأخبار ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ.
٢٥.الفتنة الكبرى : طه حسين، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.
٢٦.الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام) : علي بن محمد بن أحمد (ابن الصباغ المالكي) (ت ٨٥٥هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ -. ١٩٨٨م.
٢٧.فن السيرة : إحسان عباس، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٥٦م.
٢٨. كشف الغمة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى الأربلي، (ت ٦٩٢ هـ)،تقديم أحمد الحسيني، ط١، مطبعة شريعة، قم – إيران، ١٤٢٧هـ.

٢٩.كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ .

٣٠.كلمة الإمام الحسن (عليه السلام) : حسن الشيرازي، دار الصادق، بيروت – لبنان، ط٣، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

٣١.اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت– لبنان، ٢٠١٢م.

٣٢.المحاسن والمساوئ : محمد بن إبراهيم (البيهقي ت ٣٢٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ.

٣٣.محاولات في تحليل الخطاب ، صابر الحباشة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م .

٣٤.مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٥.مفاتيح الجنان : عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، ط٤، دار الرسول الأكرم، بيروت، ١٤٠٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٦.مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) : تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء التراث العربية، بيروت (د.ت).

٣٧.موسوعة المصطفى والعترة (الحسن المجتبى (عليه السلام)) : حُسين الشاكري، ط٢، مطبعة غدير، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.

الأبحاث :

٣٨.إطلالة على منهج تفسير القرآن بالقرآن : فالح الموسويّ، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، العدد ١٩، السنة الخامسة ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ.

٣٩.الجابري واللامعقول الشيعي : ادريس هاني ، مجلة المنهاج ، العدد (٨) ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٤٠.مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم (مظاهر المباني الاستدلالية) : محمد محمود عبد زوين، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، العدد (١٩)، السنة الخامسة، ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ.

Sources and references

The Holy Quran

1- probate of Imam Ali Ibn Abi Talib (u): Abul Hassan Ali bin Hassan bin Ali Masoudi (d. 346 AH), i 1, Dar al-Andalus, Najaf 0.1430 E - 2009

2-the views of utopia: Al-Farabi, achieving Albernadr, Beirut, the printing press Catholicism, 1959.
3- Guidance in the arguments of God on the subjects: Muhammad ibn Muhammad ibn al-Nu'man al-Baghdadi (Sheikh useful), i 1, Masshaltarej Arabi, Beirut - Lebanon, 1429 – 2008
4-Assimilation: Yousef bin Abdullah bin Abd al-Barr (d. 463 AH), Beirut edition, 1412 .
5-Flags Hedaya (Imam Hassan (u) Mujtaba); Academy of Ahl al-Bayt (AS Peace), the first edition, Princess House, Beirut, 2005
6.useful hopes Sheikh Mohammed bin Mohammed bin Noman al-Baghdadi, known as (Sheik useful) (D. 413 AH) Foundation of Arab history, Beirut - Lebanon, 1430 - 2009
7.Leading Prayer and Politics: Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Koutaiba Aldenyora (d. 276 AH) i 3, Dar Scientific books, Beirut - Lebanon, 2009 .
8.lineages Supervision: Ahmad bin Yahya bin Jaber Al-Baladhuri (d. 279 AH), (D.t), Cairo, 1959 .
9.humanitarian ideal when Hassan bin Ali (peace be upon them): Rahim Karim Ali Sharifi, i 1, Dar proof, Beirut - Lebanon 0.1435 E - 2014.
10. Ahlulbait and their role in fortifying the Islamic message (lectures Mr. Mohammad Baqer Chest): i 1, Press law, Iran, 1425
11.Sailor Lights university dryer News imams pure: Sheikh Baqir Majlisi, reviving books Holy, Iran 1427.
12.Date Yacoubi: Ahmad ibn Ishaq ibn Jaafar bin Wahab bin clear Yacoubi (d. 292 AH) Dar al-Zahra, Iran, 2010.
12. the life of Imam Hassan (u) study and analysis: Baqir al-Sharif al-Qurashi, achieve: Baqir al-Mahdi Qurashi, i 1, Press law, Iran, 1429 2008 - m.
13. Studies in educational thought when Imam Hassan (u): Joseph cities, i 1, Dar proof, Beirut - Lebanon 0.1435 E – 2014.
14.Imamate signs: Abu Ja'far Muhammad ibn Rustam al-Tabari of the fourth Islamic scholars, 2nd Floor, Aloalma Foundation Publications, Beirut - Lebanon, 1408 – 1988.
15. Atomic pure, Abu humans Mohammed bin Ahmed bin Hammad Al-Ansari (d. 310 AH), achieving Mr.
16.Mohammad Javad Jalali, 8th Floor, Aloalma Foundation, Beirut - Lebanon, 1408 - 1988.
17. Messages Maqrizi: Al-Maqrizi (d. 845 AH), a study and investigation: Ramadan Al-Badri, And Ahmad Mustafa Qasim, Dar al-Hadith, Cairo, 1427 - 2006.
18. selected masterpieces from the speeches of Imam Hassan and his books and his letters and words Kassar, Mustafa Moussawi, DMI book publication, i 1.1413 E - 1993
20 . biography of the twelve Imams: Known Hashim al-Hassani, 5th Floor, Press law, Iran (D.t).
21. explain the large university visit: Ahmed Bin Zainuddin Statistical (d. 1421), i 1, library Virgin, Beirut 0.1424 E - 2003.
22. Comments on the Peak of Eloquence: Hamid Abu Izz al-Din ibn Abi iron (d. 656 AH), Dar thought, Beirut 1388.

23. Arab political mind: Mohammed Abed al-Jabri, 5th Floor, Center for Arab Unity Studies, Beirut - Lebanon, 2010.
24. Eyes news, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Koutaiba Dinouri (d. 276 AH), Dar scientific books, Beirut, 1418.
25.Great Sedition: Taha Hussein, i 1, Dar Al Manar, Egypt, 2003.
26. important chapters in the knowledge of the conditions of the Imams (peace be upon them): Ali bin Mohammed bin Ahmed (son Sabbagh Maliki) (d. 855 AH), 2nd Floor, house lights, Beirut - Lebanon, 1409 --1 988 m .
27. The Art of Biography: Ihsan Abbas, i 1, Beirut - Lebanon, 1956.
revealed sorrow to know Imams: Abu Hassan Ali Bin Isa Alorpley, (d. 692 AH), providing Ahmed al-Husseini, i 1, Press law, do - Iran, 1427.
28. revealed sorrow to know imams, Abu Hassan Ali Bin Isa Bin Abi conquest Alorpley, house lights for printing and publishing, Second Edition, Beirut, Lebanon, 1985.
29. word Imam Hassan (u): Hassan Shirazi, Sadiq Dar, Beirut - Lebanon, 3rd floor, 1388 E - 1968.
30. tongue and balance, mental Altcauthr: Taha Abdel-Rahman, the Arab Cultural Center, 3rd floor, Beirut - Lebanon, 2012.
31. advantages and disadvantages: Mohammed bin Ibrahim (Bayhaqi T. 320 e), Press happiness, Egypt, 1325 AH.
32. attempts in discourse analysis: Saber Hbahh, Knowledge House, 1st Floor, Egypt, 2009.
33. attempts in discourse analysis, Saber Alhbahh, University Corporation for Studies and Publications, First Edition, 2010
34. Meadows of Gold and metals essence: Abu Hassan Ali Bin Al-Hussein al-Masoudi (d. 346 AH), I 1, Dar Reader, 1426 - 2005.
35. Heaven Keys: Abbas Qumi (d. 1359 AH), i 4, Dar Prophet Muhammad, Beirut, 1402 E - 2001.
36. Atalibaan fighter: Abu al-Faraj al-Isfahani (d. 356 AH): Achieving Mr. Ahmed Sakr, Dar The revival of Arab heritage, Beirut (D.t).
37. Encyclopedia Mustafa, marjoram (Hassan Mujtaba (u)): Hussein Alhakeri, 2nd Floor, Press Ghadeer, do - Iran, 1425.

Research:

38. views of the curriculum interpretation of the Holy Qur'an: Faleh al-Moussawi, the lamp Magazine, the threshold of the Holy Husseiniya, No. 2, fifth year 2014 AD - 1435H.
39. Jabri and Shiite absurd: Hani Idriss, Journal of the curriculum, the number (8), Beirut, Lebanon, 1418 --1 997 m.
40. manifestations of reasoning in the Koran (the manifestations of evidentiary buildings): Mohamed Mahmoud Abdul Xuwen, lamp Magazine, the threshold of the Holy Husseiniya, No. (19), the fifth year, 2014 --1 435 e.